

تفسير الثعالبي

ملكوت السموات والأرض الآية المتقدمة تقضي بهداية إبراهيم عليه السلام والإشارة هنا بذلك هي إلى تلك الهداية أي وكما هديناه إلى الدعاء إلى الله وإنكار الكفر أريناه ملكوت ونرى لفظها الاستقبال ومعناها الماضي وهذه الرؤية قيل هي رؤية البصر وروي في ذلك أن الله فرج لإبراهيم عليه السلام السماوات والأرض حتى رأى ببصره الملكوت الأعلى والملكوت الأسفل وهذا هو قول مجاهد قال تفرجت له السماوات والأرضون فرأى مكانه في الجنة وبه قال سعيد بن جبير وسلمان الفارسي وقيل هي رؤية بصر في ظاهر الملكوت وقع له معها من الاعتبار ورؤية القلب ما لم يقع لأحد من أهل زمنه الذين بعث إليهم قاله ابن عباس وغيره وقيل هي رؤية قلب رأى بها ملكوت السماوات والأرض بفكرته ونظره وملكوت بناء مبالغة وهو بمعنى الملك والعرب تقول لفلان ملكوت اليمن أي ملكه واللام في ليكون متعلقة بفعل مؤخر تقديره وليكون من الموقنين أريناه والموقن العالم بالشيء علماً لا يمكن أن يطرأ له فيه شك وروي عن ابن عباس في تفسيره وليكون من الموقنين قاد جلى له الأمور سرها وعلايتها فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله له إنك لا تستطيع هذا فردّه لا يرى أعمالهم وقوله سبحانه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي الآية جن الليل ستر وغطى بظلامه ذهب ابن عباس وناس كثيرون إلى أن هذه القصة وقعت في حال صباه وقبل البلوغ والتكليف ويحتمل أن تكون وقعت له بعد بلوغه وكونه مكلفاً وحكى الطبري هذا عن فرقة وقالت أنه استفهم قومه على جهة التوقيف والتوبيخ أي هذا ربي وحكي أن النمرود جبار ذلك الزمان رأى له منجموه أن مولوداً يولد في سنة كذا في عمله يكون خراب الملك على يديه فجعل يتتبع الحبالى